جامعة عين شمس
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

# الدرس الصوتي عند "رضي الدين الاستراباذي"

إعداد
محسن عادل محروس

إشراف
الأستاذ الدكتور / سعيد البحيري0
الأستاذ الدكتور /عاطف جودة 0
الدكتـــور / نـبيل عبد الفـتاح0

1427هـ - 2006م

## بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم و أستعين بك وأثنى عليك بما أنت أهله ، تباركت وتعاليت يا أكرم الأكرمين ، أحمدك ربي حمدًا لا يبلغ مدحته القائلون 0

" الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا "

"سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم "

وأصلي وأسلم على أشرف أنبياء الله ورسله ، سيدنا محمد . صلى الله عليه وسلم . سيد الأولين والآخرين، الذي كان أفصح العرب لسانًا ، وأبينهم نطقًا ، وأعظمهم بيانًا ،وأعلمهم بأسرار العربية، نبي المعجزة الخالدة (القرآن الكريم) ، الذي يقول عنه المولى سبحانه وتعالى : "وإنه لتنزيل من رب العالمين * نزل به الروح الأمين علي قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين *"

0000 وبعد

ممالاشك فيه أن لغة الإنسان هي أهم الأسس التي تقوم عليهاحياة المجتمعات البشرية المختلفة،وهي التي تحمل ثقافات البشروحضاراتهم من مجتمع لآخر ، فلولا اللغة ما قامت الحضارات الإنسانية .

أما لغتنا العربية ، فقد كرَّمها الله سبحانه وتعالى ، وخصها بالتشريف من بين اللغات ، فأنزل القرآن الكريم بها ، هذا الكتاب العظيم ، الذي ظل يحافظ علىاللغة العربية أربعة عشر قرنًا ومازال إلى أن يرث الله الأرض وماعليها .

وليست اللغة في الحقيقة سوى عادات وتقاليد صوتية مكتسبة ، تتوارثها المجتمعات الإنسانية جيلاً بعد جيل ، وتسلكها في حياتها المعيشية ، وتؤديها أعضاءالأجهزة النطقية بالسليقة اللغوية،ولهذا نجدأن كل مجتمع من المجتمعات

الإنسانية يتميز بنظام لغوي معين يحقق به وظائف معينة ، ليعبر بها عن أفقه وأفكاره .

كما أنه لا شك في أن البحث في التراث العربي ، ومحاولة الكشف عن مكنوناته والتعمق في أغواره واجب عربي وإسلامي ، وذلك لنخرج ما أنتجته قرائح علمائنا السابقين ، الذين لا يزال الكثير من مؤلفاتهم مخطوطًا ، لم تصل إليه يد التحقيق بعد ، ولم يكشف النقاب عن مضمونه .

أما موضوع البحث الماثل بين أيديكم الآن ، فهو يختص بالآراء الصوتية عند " رضي الدين الاستراباذي " ، حيث ذكر المؤرخون أن الحياة العلمية في عهده لم تكن مزدهرة ، وأن سوق العلم كانت كاسدة لأن العلماء كانوا متَّبِعين ، لا مبتدعين ، واقتصروا علي الترديد والتقليد ، فلم يجتهدوا ، ولم يضيفوا إلى العلم جديدًا ؛ لإشفاقهم من أن يذهب التراث اللغوي ضياعًا ، فبادروا إلى تسجيله والحفاظ عليه .

ومن بين كتب هذا التراث كتاب " شرح الشافية " للعالم الجيل " رضي الدين الاستراباذي " ، وهو من أهم أمهات الكتب التي تتميز بالابتكار والتجديد ، إلا أنه كتاب مختصر ، ويتناول مسائل النحو واللغة في إيجاز يحتاج إلى شيء من الشرح والتعليق ، لكي يُفهم على حقيقته ومضمونه .

ولكن من إنصاف الحق أن نقول إن " رضي الدين " . مع كونه شارحًا أدلى برأيه في كثير من المسائل . له ملاحظات صوتية هي له لا لغيره ، مما يدل قطعًا على رهافة حاسته الصوتية ، وأنه كان لغويًّا بالمعنى الحق ، ولم يكن مجرد راوية ، ولا حاطب ليل يجمع بين الغث والسمين .

ونستطيع أن نقول إن اهتمام علماء اللغة العربية القدامى بالدراسات الصوتية يرجع إلى القرن الثاني للهجرة ،" فالخليل بن أحمد الفراهيدي " له فضل السبق إلى هذا العلم . علم الأصوات . حيث رتبها ترتيبًا معينًا، وذلك وفق مخارج الحروف ، وهنا نلاحظ أن دراسته للأصوات كانت مترتبة على دراسته للمعجم من حيث اهتمامه بالألفاظ وبنيتها ، واختياره طريقة خاصة لتمييز مخارج الحروف .

وبعد ذلك اقتدى به تلميذه " سيبويه " ، فصنَّف الأصوات تصنيفًا يتميز بالدقة في الباب الذي عقده لها ، وهو باب (الإدغام ) ، هذا بالإضافة إلى ما لاحظه وأمعن النظر فيه مرتبطًا بالخصائص الصوتية للألفاظ .

ومن هنا وجَّه كثير من اللغويين اهتمامهم إلى هذا العلم ، غير أنهم لم يتوصلوا إلى مثل ما توصَّل إليه "الخليل" و " سيبويه " من نتائج .

ومما يلفت النظر أن مفهوم علم الأصوات لم يكن في ذلك الوقت هو مفهومنا في يومنا هذا ، من حيث أنه علم له ما له من خصائص ، إلا أن علم الأصوات عند القدماء ، إنما كان عرضًا لا أصلاً .

*وقد دفعنى إلى اختيار هذا الموضوع عدة أسباب ، وهي :

أولاً : المساهمة في الكشف عن أمهات الكتب في التراث العربي ، والتي يبذل في سبيلها الكثير من الجهد ، ووضع في تصانيفها النفيسة خلاصة قرائح علمائنا السابقين .

ثانيًا : أن " رضي الدين الاستراباذي " لم يُدرس الدراسة الكافية ، التي تكشف النقاب عن شخصيته الفذة ، وبخاصة أن رجل له باع طويل في حقل

الدراسات اللغوية ، فهو ليس نحويًّا أو مفسرًا عاديًّا ، بل إنه صاحب فكر متميز، وعقلية تحليلية تناقش وترجح ، وتقف عند النصوص بالدراسة .

ثالثًا: محاولة إماطة اللثام عن شخصية "الاستراباذي" في مجال الدراسات اللغوية، والكشف عن قريحته في كيفية عرض المادة اللغوية ، وتناول قضايا النحو والصرف ، وذلك لأنها جاءت في هذا الكتاب أكثر عمقًا واتساعًا ومنهجية مما جاء في غيره .

إن باعثي الأساسي علي اختيار " الاستراباذي " موضوعًا لدراستي هذه هو محاولتي للتعرف على مدى ما بلغه هذا العالم الجليل في شرحه وتعليقه، وذلك فيما يختص بالآراء الصوتية عنده ، وأردت أن أعرف ما إذا كان له آراء صوتية خاصة بالإضافة لكونه نحويًّا سرد علل النحو ، وشرح مسائلة.

ولسوف أختار نصوصًا بعينها من شرحه على أنها أمثلة لمنهجه في البحث الصوتي ونمعن النظر فيها في محاولة لاستيعاب ما يمكن استنتاجه منها، لنتعرف منهجه في البحث الصوتي 0

وعليه ، فما بين أيدينا بحث ، يهتم بالآراء الصوتية عند "الاستراباذي" وليس مجرد حشد لمادة قديمة وحديثة ، ولكنه مزج بين ما ذكره هذا العالم ، وما ذكره المحدثون من علماء الأصوات ، فهو دراسة للقديم والحديث في وقت واحد ، ولن أكتفي بمجرد النقل عنه ، بل سأحاول أن أعقِّب عليها بما يوضح غامضها بالنظر فيما ذكره علماء العربية والقرَّاء من سابقيه ولاحقيه.

ولا شك أن اللغة العربية تتمتع بخصائص نطقية معينة ، ولذا رأيت كباحث وجوب تقسيم مادة هذا البحث إلي أربعة فصول وخاتمة ، يسبقهم التمهيد بالإضافة إلى هذه المقدمة .

*التمهيد :

أما التمهيد فسوف يتناول حياة ودارسة هذا العالم الجليل وإشارة إلى رأى علماء عصره فيه ، كذلك أتحدث عن أهم مؤلفاته ومنهجه في شرح الشافية وشرح الكافية ، ورأى العلماء في هذه الشروح ، ثم اختلاف العلماء حول سنة وفاة هذا العالم .

وبعد التمهيد تتتابع الفصول علي النحو التالي :

*الفصل الأول : الصوامت :

وهذا الفصل يتضمن عدة مباحث هي :

المبحث الأول : الحرف والحركة .

المبحث الثاني : وصف أعضاء النطق .

المبحث الثالث : المخارج الصوتية .

المبحث الرابع : تصنيف الأصوات حسب الصفات .

*الفصل الثاني : الإدغام :

وأتحدث في هذا الفصل عن الإدغام من حيث كونه عادة من عادات النطق العربي وله في الدرس اللغوي مسميات ، منها " التأثر الرجعي " ، ونتحدث في هذا عن تعريف الإدغام وأقسامه ، والربط بين أفكار القدماء ودراسات المحدثين ، وتراث العربية في هذا المجال كبير ، كذلك أتحدث عن تأثيرات الحروف بعضها في البعض ، من خلال القوانين الصوتية ، في محاولة لتقديم بعض النفع لعلم اللغة ، تحت مظلة خدمة اللغة كظاهرة إنسانية عامة .

وقد تضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول:مفهوم الإدغام0

المبحث الثاني : الإدغام بين الحروف .

المبحث الثالث : أنواع الإدغام .

*الفصل الثالث : الإمالة :

والإمالة ظاهرة منتشرة في اللهجات الحديثة ، وفي هذا الفصل سوف نتحدث عن ظاهرة الإمالة من منظوره ، وتعريفها وأسبابها وأنواعها ، مع إلقاء الضوء علي الدراسات اللغوية الحديثة ، وجهود علماء اللغة القدامى في هذا المجال ، ثم نتائج دراسة هذه الظاهرة .

وهذا الفصل يقع في أربعة مباحث :

المبحث الأول : مفهوم الإمالة والغرض منها .

المبحث الثاني : أنواع الإمالة .

المبحث الثالث : أسباب الإمالة .

المبحث الرابع : الإمالة وحروف الاستعلاء.

*الفصل الرابع : الإبدال والقلب :

وهذا الفصل يشتمل علي مبحثين هما :

المبحث الأول : الإبدال والقلب الصوتي عند" رضي الدين ".

المبحث الثاني : التفاعل بين أصوات العلة وصوره القياسية .

*الخاتمة :

وسوف تتناول الخاتمة عرضًا لأهم النتائج التي توصل إليها البحث ملحقًا بها أثبات المصادر والمراجع .

وأخيـرًا، أرجـو مـن الله تعـالى أن يـوفقني للخيـر ، متوجهًـا بشـكري وجليـل امتناني لكل من ساهم في خروج هذا البحث إلى النور ، والله أسأل أن يجعل عملي هذا عملاً نافعًا خالصًا لوجهه الكريم .

# الاسترابادي

## سيرة حياة

**أولاً : الاستراباذي حياته ودراسته :**

هو " الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي " [1]" السمنائي نجم الدين النحوي ، نزيل النجف ، نحوي ، صرفي ، متكلم ، منطقي"[2].

وفي هدية العارفين: "هو محمد بن الحسن الاستراباذي مير رضي الدين السمناكي نزيل نجف الأشراف " [3]

ولم يترجم له إلا علماء قليلون، والأخبار عنه قليلة جدًّا.

---

[1] الاستراباذي بكسر الألف وسكون السين المهملة وكسر التاء المنقوطة باثنتين من فوقها وفتح الراء والباء الموحدة بين الألفين في أخرها الذال المعجمة . هذه النسبة إلى استراباذ ، وقد يلحقون فيها ألفاً أخرى بين التاء والراء فيقولون استراباذ ، إلا أن الأشهر هذا ، وهي بلدة من بلاد مازندان بين سارية وجرجان . الأنساب للسمعانى ج1ص199ويروى الاسترابادى بالدال كما جاء في هدية العارفين ج2ص134، وكشف الظنون 1370 وفي معجم البلدان :

استراباذ بالفتح ثم السكون ، وفتح التاء المثناة من فوق ، وراء ، وألف ، وباء موحدة ، وألف ، وذال معجمة : بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقاً من أهل العلم في كل فن ، وهى من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان في الإقليم الخامس . معجم البلدان لياقوت الحموى ج1ص174 طبعة دار صادر . بيروت

[2] معجم المؤلفين لعمر رضا كحالةج9ص183، كشف الظنون 137 ، المدارس النحوية 281

[3] هدية العارفينج2ص134.

وقال " السيوطي " ذاكرًا ذلك:

" الرضي الإمام المشهور ، صاحب شرح الكافية لابن الحاجب ، الذي لم يؤلف عليها ، بل ولا في غالب كتب النحو مثلها ، جمعًا وتحقيقًا ، وحسن تعليل ، وقد أكب الناس عليه وتداولوه ، واعتمده شيوخ هذا العصر فمن قبلهم، في مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه أبحاث كثيرة مع النحاة ، واختيارات جمة ، ومذاهب ينفرد بها ، ولقبه نجم الأئمة ، ولم أقف على اسمه ، ولا علىشيء من ترجمته ، إلا أنه فرغ من تأليف هذا الشرح سنة ثلاث وثمانين وستمائة هجريًا0

وأخبرني صاحبنا المؤرخ " شمس الدين بن عزم " بمكة أن وفاته سنة أربع وثمانين أو ست، الشك مني . وله شرح علي الشافية " [1]

ويظهر لنا هنا من تصريح " السيوطي " في سابق كلامه أنه لم يقف علي اسمه ولا شيء من ترجمته ، ومن يتعمق أيضًا في النص السابق لن يجد شيئًا عن حياته ، وإنما الكلام منصب على وصف شرح الكافية والانتهاء من تأليفه ، وأن له شرحًا أخر يسمى شرح الشافية .

وقال " البغدادي " في هذا الشأن أيضًا:

( الأمر الثالث : يتعلق بترجمة الشارح المحقق ، والحبر المدقق رحمه الله وتجاوز عنه . يقصد الرضي . ولم أطلع على ترجمة له وافية بالمراد، وقد رأيت في آخر نسخة قديمة من هذا الشرح ما نصه : " هو المولى الإمام، العالم العلامة ، ملك العلماء ، صدر الفضلاء ، مفتى الطوائف ، الفقيه المعظم ، نجم الملة والدين ، محمد بن الحسن الاستراباذي ، وقد

---

[1] بغية الوعاة ج1ص567 ، 568 ( 683هـ = 1286م )

أملى هذا الشرح بالحضرة الشريفة الغروية [1] في ربيع الآخر من سنة ثمان وثمانين وستمائة" ) [2]0

وقال الأستاذ الدكتور / " شوقي ضيف " أيضًا :

(والرضي الاستراباذي هو نجم الدين محمد بن الحسن ، مولده ومرباه في استراباذ من أعمال طبرستان ، وليس بين أيدينا أخبار واضحة عن حياته)[3]0

وبسبب قلة أخبار الرضى آثرت في هذا الموضع أن أذكر إجازة "الشريف الجرجاني " التي نقلها عنه " البغدادي " فقال :

( وقد رأيت أن أكتب هنا صورة إجازة " الشريف الجرجاني " لمن قرأ عليه هذا الشرح، فإنه بالغ في تقريظه وأطرى ، وصرح الشارح بما هو اللائق والأحرى.

وهي هذه: " أحمده على جزيل نواله ، وأصلي على نبيه " محمد " وصحبه وآله.

وبعد: فإن صناعة الإعراب لا يخفى شأنها ، في رفعة مكانها ، تجرى من علوم الأدب مجرى الأساس ، وتتنزل منها منزلة البرهان من

---

[1]الغروية : ذكر محقق الخزانة أن الغرى ، هو مشهد الإمام على بن أبي طالب بالنجف0 هامش الخزانة للأستاذ/ عبد السلام هارون ج1ص28 والغروية نسبة إلي الغري .(688هـ=1291م)

[2]الخزانة للبغدادي 28/1 تحقيق الأستاذ / عبد السلام هارون . الطبعة الثانية سنة 1408 هـ . سنة 1988م مكتبة الخانجي .

[3] المدارس النحوية . د/ شوقي ضيف .

القياس ، وبها يتم ارتشاف الضرب من تراكيب كلام العرب ، بل هي مَرقاة منصوبة إلى علم البيان ، المطلع على نكت نظم القرآن ، وإن شرح الكافية ـ للعالم الكامل نجم الأئمة ، وفاضل الأمة ، محمد بن الحسن الرضي الاستراباذي ، تغمده الله بغفرانه ، وأسكنه بحبوحة[1]جنانه . كتاب جليل الخطر ، محمود الأثر ، يحتوى من أصول هذا الفن على أمهاتها ، ومن فروعه على نكاتها قد جمع بين الدلائل والمباني وتقريرها، وبين تكثير المسائل والمعاني وتحريرها ، وبالغ في توضيح المناسبات ، وتوجيه المباحثات ، حتى فاق ببيانه ، على أقرانه ، وجاء كتابه كعقد نظم فيه جواهر الحكم ، بزواهر الكلم ، لكن وقع فيه تغييرات، وشيء كثير من المحو والإثبات ، وبدل بذلك صور نسخه تبديلاً ، بحيث لا نجد إلي سيرتها سبيلاً0

وإني . مع ما منيت به من الأشغال، واختلال الحال، وانتكاس سوق الفضل والكمال، وانقراض عصر الرجال، الذين كانوا محط الرحال، ومنبع الأفضال، ومعدن الإقبال، ومجمع الآمال ، وتلاطم أمواج الوسواس من غلبة أفواج الشوكة وظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، قد بذلت وسعى في تصحيحه بقدر ما وفى به حتى مع تلك العوائق ،

---

[1] بحبوحة جنانه: وفي الحديث: أنه صلى الله عليه وسلم قال: من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد . قال أبو عبيدة: أراد بحبوحة الجنة وسطها قال: وبحبوحة كل شيء وسطه وخياره . لسان العرب لابن منظور ج1ص164 طبعة بيروت .

ووسعه مقدرتي مع موانع العلائق ، فتصحح إلا ما ندر، أو طغى به القلم أو زاغ البصر 000 ) [1]0

لقد وصف " الشريف الجرجاني " شرح الكافية وصفًا لائقًا بما فيه، وصدق في تشبيهه له بالعقد الذي نظم فيه جواهر الحكم وزواهر الكلم 0

## أهم مؤلفا ته :

هذه النبذة عن حياة الرضي الاستراباذي أما أهم مؤلفاته فشرح الكافية في النحو، و شرح الشافية في التصريف،وحاشية علي شرح تجريد العقائد الجديدة والحاشية القديمة،وحاشيةعلىشرح الجلال الدواني لتهذيب المنطق والكلام [2]0

ومن أهم مؤلفات " الرضي " وأشهرها وأنفسها شرح الكافية ، ولكافية ابن الحاجب شروح ، أنفسها وأعظمها شرح " الرضي " .

قال " السيوطي " في شأن هذا الكتاب:

( 00 لم يؤلف عليها بل ولا في غالب كتب النحو مثله جمعًا وتحقيقًا وحسن تعليل.

وقد أكب الناس عليه وتداولوه ، واعتمده شيوخ العصر فمن قبلهم في مصنفاتهم ودروسهم ، وله فيه أبحاث كثيرة ، واختيارات جمة ، ومذاهب ينفرد بها . )[3]0

---

[1] الخزانة 29/1 . 30

[2] هدية العارفين ج 2ص134 ، معجم المؤلفين ج 9ص183 .

[3]بغية الوعاة ج1ص567 ،ص 568 .